The Art of lineing and Page Layout in The Designs of Islamic Manuscripts

Article · November 2019

DOI: 10.12816/0056067

1 author:



Fuad Khasawneh
University of Jordan

The Art of lineing and Page Layout in The Designs of Islamic Manuscripts

Fuad Eyad Khasawneh
School of Arts and Design
University of Jordan- Jordan
Fuadkhasawneh0@gmail.com

Received 13 /10/ 2019 Accepted 11/11/2019

Abstract:

This study deals with the page layout and lineing in ancient Islamic manuscripts, since it takes a great sacred importance for Muslims and is the main source of our knowledge of the beginning of the development of the design foundations of early Islamic manuscripts, and it aimes to identify the mechanisms of lineing and the page layout in the design of Islamic manuscripts, and the design principles followed by transcribers in producing page layout and lineing them, as well as monitoring the aesthetics of Islamic manuscripts and the rules of graphic design followed by the transcribers in choosing the number and size of lines and margins within each manuscript.

In this study, the researcher uses the descriptive analytical method, and it is importat in that it deals with the innovative rules used by the transcribers in their design formulations, which is not separated from the cultural heritage and Islamic art. It also highlights the formulations value of the body and space in the design process, and its role in directing the page layout and methods of lineing in Islamic manuscripts.

This study can benefit artists, designers and critics in the arts and design schools and faculties, as well as specialists in the study of arts and Islamic studies. The study came out with the most important results: The process of directing the page layout and its lineing and margins are placed within fixed design frameworks that contribute to the development of a graphic design theory for lineing used to this day, as the lineing of the religious manuscripts as a constructive and formulations process of all these elements, in order to configure the design of the Islamic manuscript.

Keywords: Page Layout, Graphic Design, Lineing Art, Manuscripts.

https://doi.org/10.12816/0056067

فن التسطير وإخراج الصفحة في تصميم المخطوطات الإسلامية

فؤاد اياد خصاونة
كلية الفنون والتصميم
الجامعة الاردنية –الأردنّ
Fuadkhasawneh0@gmail.com

استلام البحث 13 /2019/10 قبول البحث 2019/11/11

الملخص:

تناولت هذه الدراسة إخراج الصفحة والتسطير في المخطوطات الإسلامية القرآنية القديمة، كونها تحتل أهمية قدسية كبيرة عند المسلمين وتعد المصدر الرئيس لمعرفتنا ببداية تطور الأسس التصميمية للمخطوطات الإسلامية المبكرة، وقد هدفت إلى التعرف على آليات فن التسطير وإخراج الصفحة في تصميم المخطوطات الإسلامية، والأسس التصميمية التي اتبعها الناسخ في إخراجها وتسطيرها، ورصد جمالياتها، وأسس التصميم الجرافيكي التي اتبعها الناسخ في اختيار عدد السطور وحجمها، والهوامش داخل كل مخطوطة. استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت أهميتها في كونها تتناول الأسس المبتكرة التي استخدمت من قبل الناسخين في تكويناتهم التصميمية، والتي لم تنفصل عن التراث الحضاري والفن الإسلامي. كما وأنها تلقي الضوء على القيمة التكوينية للمتن والفراغ في عملية التصميم، ودورها في إخراج الصفحة وطرق تسطيرها في المخطوطات الإسلامية. ويمكن لهذه الدراسة أن تحقق الفائدة للعاملين في كليات الفنون والتصميم من فنانين ومصممين ونقاد، وكذلك للمختصين بدراسة الفنون والدراسات الاسلامية، وقد خرجت الدراسة بنتائج أهمها : إن عملية إخراج الصفحة وما تحويه من تسطير وهوامش كانت توضع ضمن أطر تصميمية ثابتة تساهم بوضع نظرية تصميم جرافيكي للتسطير تستخدم إلى يومنا هذا، فالتسطير في المخطوطات الدينية بمثابة عملية بنائية وتركيبية من كل هذه العناصر، وذلك لتكوين التصميم الخاص بالمخطوطة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: إخراج الصفحة، التصميم الجرافيكي، فن التسطير، المخطوطات.

المقدمة:

تحتل الكتابة مكانة عظيمة في الحضارة الإسلامية التي قدمت لنا آلافًا من المخطوطات بالحرف العربي، خُطّت و زُوِّقت بأجمل ما يمكن أن تحمل الكتب من تزويق، ففي كثير من الأحيان ترى أن المخطوطة عبارة عن تحفة فنية أكثر مما تحمله من معرفة في مضمونها، بحيث يمكن الإقرار بتميز (الكتاب الإسلامي) وخصوصيته على صعيد الشكل مثلما هو متميز على صعيد المضمون.

وتركّز هذه الدراسة المتواضعة على الكتاب الإسلامي بشكل أساسي والشكل المادي للكتاب (codex)، أي أنها دراسة للعناصر الفنية الأساسية للكتاب بغض النظر عن نصه وموضوعه، وتحديدًا الكتاب المخطوط الذي تتدرج دراسته تحت علم المخطوط (Codicology)، ولا يقصد الباحث هنا دراسة ما يرتبط بالنص الأساسي للكتاب، بل يعنى هذا العلم بدراسة تكوينه والخصائص التصميمية والفنية التي نشأ عليها الكتاب المخطوط، وتختص هذه الدراسة بشكل أعمق بدراسة البنية التصميمية للمخطوطات الإسلامية وبالأخص المصحف الشريف بوصفه أول كتاب إسلامي.

إن الفائدة من البحث في المخطوطات الإسلامية تتركّزُ في أنها إرث ثقافي للحضارة الإسلامية، تساعدنا في إظهار البنية التصميمية التي تطورت عبر الزمن، وتساعدنا كذلك في اكتشاف الأسس التي قامت عليها. وفي هذا السياق نسعى أن تكون محاولتنا البحثية المتواضعة هذه لدراسة التسطير وإخراج الصفحة والتي تتجلى في مخطوطات المصحف الشريف، في محاولة لإضافة معرفة جديدة إلى دراسات التصميم الجرافيكي؛ لأن البحث في مجال التسطير وإخراج الصفحة ما زال في بداياته، وفي حدود علم الباحث فإنّ بعض دراسات المخطوطات القرآنية التي تناولت الموضوع مسّته بشكل عابر دون تعمّق.

ومن هنا، حاول الباحث اتباع المنهج المورفولوجي الذي يعنى بدراسة الشكل بكل حوامله ومحمولاته التي يعنى بها أيضًا، وعلى وجه الخصوص علم صناعة الكتاب المخطوط والمسمى: الكوديكولوجي، بحيث يمكن أن نقدم هذه الدراسة بواسطة هذين العِلمين.

ويسعى الباحث من وراء ذلك كله إلى محاولة استجلاء النظرية الجرافيكية التي يمكن أن يقوم عليها التسطير وإخراج الصفحة في

المخطوطات الإسلامية، فضلاً عن كونه المثال الإسلامي الأنموذج لمثل هذه الدراسة التي تعالج إبراز البنية التصميمية للمخطوطة، وتحاول توضيحَ الخصائصِ الفنية التي قام عليها هذا التصميم وتطورِه عبر العصور الإسلامية المختلفة، وصولاً إلى محاولة تأطير النظرية الخاصة للتصميم الإسلامي لإخراج الصفحة والتسطير.

مشكلة البحث:

أخذت الفنون الإسلامية موقعًا بارزًا في تاريخ الفنون العالمية، حيث شهدت تطورًا نوعيًّا كبيرًا باتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية لتضم شعوب حضارات عظيمة، مما كان له الأثر الكبير في تطوير الصياغة الجمالية لعدد من الفنون الإبداعية ومنها فن التسطير وإخراج الصفحة في تصميم المخطوطات الإسلامية، وهي من الفنون التي تضم تشكيلات وتراكيب خطية مختلفة ومتنوعة تستمد مرجعياتها من العمق الحضاري للأمة الإسلامية، التي حاورت الثقافات والحضارات الأخرى حوارًا ثقافيًّا وعقلانيًّا على امتداد تاريخها المجيد.

إنّ فن التسطير مكوّن أساسي للحديث مباشرة عن تركيب الصفحات، فالعلاقة بينهما هي في الأصل علاقة الجزء بالكل، والتسطير هو مجموع الخطوط الأفقية والعمودية التي تساعد الناسخ أو المزخرف على إنجاز نصه أو زخرفته، ولعل أهم ما يمكن ملاحظته بهذا الصدد أن عنصر التسطير كما هو معروف في المخطوطات العربية مختلف عن ذلك الذي عرف في الحضارة الغربية القديمة، فالعرب عرفوا المسطرة واستعملوها في تسطير مخطوطاتهم [7]. ويمكن القول إنّ عملية إخراج الصفحة والتسطير في المخطوطات الإسلامية قد تنوعت في حدود قوانين تحكم هذا التصميمات، والغرض الرئيس هو الوصول إلى التصميم المتناسق والمتماسك ذي القيم الوظيفية والجمالية، وهكذا فقد امتازت المخطوطات القرآنية المبكرة مثلًا، بحسّ تكويني يفوق غيره من المخطوطات غير الدينية في ذلك الوقت.

تنطلق مشكلة هذه الدراسة من الخصوصية التي تتطلب استنباط الأساليب التصميمية التي اتبعها الناسخون في بناء تصميم الصفحة وإخراجها حيث التسطير والهوامش في المخطوطات الإسلامية والتي كانت تقوم على أسس تصميمية لإظهارها بأفضل وأبهى صورها .

أهداف البحث:

هدفت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما هي آليات فن التسطير وإخراج الصفحة في تصميم المخطوطات الإسلامية؟

وذلك من أجل التعرف إلى:

1- آليات فن التسطير وإخراج الصفحة في تصميم المخطوطات الإسلامية.

2- الأسس التصميمية التي اتبعها الناسخ في إخراج الصفحة وتسطيرها في المخطوطات الإسلامية.

3- جماليات المخطوطات الإسلامية، وأسس التصميم الجرافيكي التي اتبعها الناسخ في اختيار عدد السطور والهوامش وحجمها داخل كل مخطوط.

أهمية البحث:

تتركّزُ أهمية الدراسة والحاجة إليها بالآتي :

1- يمكن أن تقدم الدراسة محاولة عملية متخصصة تتناول الأسس المبتكرة التي استخدمت من قبل الناسخين في تكويناتهم التصميمية، والتي لم تنفصل عن التراث الحضاري والفن الإسلامي.

2- محاولة الإسهام في إلقاء الضوء على القيمة التكوينية للمتن والفراغ في عملية التصميم، ودورها في إخراج الصفحة وطرق تسطيرها في المخطوطات الإسلامية، من خلال الاطلاع على دراسة وصفية تحليلية لبعض نتاجات الفنانين الذين استلهموا التسطير كقيمة جمالية، وقدموا إبداعاتهم في تصميم المخطوطات الإسلامية.

3- يمكن أن تسهم في الاطلاع على دراسة وصفية تحليلية لبعض نتاجات الفنانين الذين استلهموا التسطير كقيمة جمالية، وقدموا إبداعاتهم في تصميم المخطوطات الإسلامية.

4- محاولة دراسة الأسس الأولى التي وضعت للناسخين واستمرت حتى الوقت الحاضر.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث إنه يتناسب مع أهدافها التي تسعى إلى وصف عملية إخراج الصفحة وتسطيرها في المخطوطات. و ينقسم هذا المنهج في هذه الدراسة إلى طبقتين: الأولى تصف وتحلل صفحات المخطوطة وطرق تسطيرها، والطبقة الثانية: تحلل العلاقة بين المتن والفراغ.

محددات البحث:

ستتناول هذه الدراسة المخطوطات الإسلامية وبالتحديد في العصور الإسلامية الأولى من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري.

عينة البحث:

اختارت هذه الدراسة العينات بشكل قصدي بما يخدم البحث، وهي المخطوطة التي أنتجت واتخذت المكان مرجعية لها.

الدراسات السابقة:

دراسة للباحثة بختي، مليكي عام (2011)[3]، تحت عنوان (التسطير وإخراج الصفحة في مخطوطات الغرب الإسلامي). اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي، وقامت بدراسة نماذج من المخطوطات الغرب الإسلامي، كما قدمت دراسة وافية لإخراج الصفحة والتسطير، وتناولت في دراستها أنواع التسطير في المخطوطات غير الدينية، حيث من الممكن أن تشكل هذه الدراسة جزءًا أساسيًّا مرجعيًّا للدراسة الحاليّة، حيث تغطي جانب المحمولات في البنية الكوديكلوجية للمخطوطة.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

فن التسطير واخراج الصفحة في المخطوطات الاسلامية:

يقصد بالتسطير في هذه الدراسة: مجموعة العوامل الفنية التي تدخل في صفحة المخطوطة؛ لتساعد في نسخ المتن وتحديد مساره وحجمه والفراغات بين السطور او الكلمات والهوامش، أي الصفات التصميمية في صفحة المخطوطة والتي تساعد في بناء النص ككتلة فنية[3] ، وتعد هذه الخطوة التصميمية للمخطوطات العملية الاعدادية لصفحات المخطوطة لبداية النسخ وتشتمل بشكل أساس على خاصية التسطير، ونسق (اخراج) الصفحة (layout)، والهوامش؛ لتكتمل به البنية التصميمية للمخطوطة.

تشكل المخطوطات الإسلامية القديمة –محور هذه الدراسة– كيانًا ماديًّا غنيًّا يحوي مجموعة من العناصر الفنية (الكوديكولوجية) التي تساهم في تقديم المعلومات المهمة لدراسة العملية التصميمة لإخراج الصفحة، ومما لا شك فيه أن عملية إخراج الصفحة كعنصر كوديكولوجي تعد جزءًا مهمًّا في البنية التصميمية للمخطوطة، وتسهم في إدراك "الرؤية الجمالية" للنص التي يميل صانع المخطوطة إلى تشكيلها من خلال تنسيق الصفحة بين الهامش الأبيض والسطور التي تحوي المتن، وهو تنظيم عام لوجه الورقة يساعدنا في تحديد قياس الصفحة. ويمكن عدّ عملية إنتاج المخطوطة كعملية حرفية عملية تصميم (جرافيك)؛ لما تشكله من تحقيق النظام والانسجام بين الأجزاء المختلفة للمخطوطة، حيث يتجانس الجزء الأبيض الذي يشكل هامش المخطوطة والجزء الحامل للنصوص والمخصص للكتابة، وهذا يقودنا إلى أن عملية التسطير عملية مهمة في إخراج الصفحة.

إن أهمية فن التسطير تكمن في عملية إخراج الصفحة في المخطوطات وما تحويه من متن يساعدنا في تقديم تحليل أولي، حيث إن المساحة المكتوبة الملونة والفراغ الأبيض (الهوامش) تتأثر بظروف الناسخ الاقتصادية والاجتماعية، وتتقاطع مع نوع الوسيط المادي المستخدم في النسخ.

أهمية فن التسطير:

يعد فن التسطير بمثابة مجموعة من الخطوط المرسومة على الصفحة، والغاية منه فنية وهي تحديد مسار الكتابة ومساحتها[4]، وتكون هذه الخطوط إمّا عمودية أو أفقية مما تساعد الناسخ على تنظيم نصه وفق نظام هندسي دقيق [9]. إن عملية التسطير عملية استباقية لناسخ المخطوطة، فمن خلاله يحدد حجم النص الذي تحتاجه الصفحة الواحدة، وفي المجمل هي عملية تصميمة جمالية، ويمثل نمط التسطير أيضًا: "رسمًا يشكل من خطوط تكون من التسطير الذي نلاحظه اتفاقا على وجه الأوراق والتي يمثل ظهرها فيما عدا الاستثناء شكلًا مماثلًا [3].

فالباحث في مجال الكودكلوجيا يجب أن لا يغفل عن وصف التسطير في دراساته للكودكلوجيا كبنية تصميمية، إذًا هو الأثر المدرك بالصفحة الذي ينظم المساحة والفراغات، ليساعد الناسخ على الكتابة والزخرفة بطريقة منتظمة ومستقيمة [6].

ظهرت عملية التسطير جلية في المخطوطة العربية، ولا سيما المخطوطات الإسلامية المبكرة وبالتحديد المصاحف منذ القرن الأول للهجرة/ السابع الميلادي، وقد كان النساخ يسطرون المصاحف ذوات الأحجام الكبيرة [5]، وتُعدّ تلك ميزة خاصة تميز بها المصاحف المخطوطة عن سائر المخطوطات في ذلك الوقت.

تنوعت نماذج التسطير وطرقها وتعددت أساليبها مع الحفاظ على الميزة العامة في المخطوطات الإسلامية، وهي المحافظة على عدد ثابت من السطور في كل صفحة من المخطوط الواحد. وكانت تتم عملية التسطير على المخطوطات منفردة أو مجتمعة مع المحافظة على عدم ترك أي أثر مرئي للسطور، وهذه العملية تقوم فنيًّا عن طريق الضغط على أماكن السطور في الصفحة بأدوات تترك أثراً [12].

وقد تنوعت تقنيات هذه الأدوات وطرقها، ولا سيما في المخطوطات الورقية، كالسن الجاف والمنحت وهذه العملية كانت تحدث تجويفًا لطيفًا في الصحيفة يطلق عليها (ثلم) وهو الأثر الغائر ويكون هذا التجويف لمّاعًا، وبالجهة المقابلة للسطر الذي يتكون من هذا التجويف نطلق عليه اسم (جدر) وهو الأثر البارز[4]، وقد علق أحد الباحثين بالمخطوطات الإسلامية بقوله: "إن الورق الذي تتم فيه كتابة الكتب والرسائل المخطوطة من النوعية الجيدة، هو ورق سميك وصقيل، من يحيط بالكتابة باستثناء اليسار، والخطوط فيها مستقيمة جدا، فهو ورقة قابلة للطي بدلا من التسطير، أو عن طريق الضغط على لوحة تسمى المسطرة [3]".

وقد أشار الباحث (دوكان) عن النص المنسق تنسيقًا مثاليًّا في المخطوطات، حتى إنه لا يحمل أي أثر للتسطير، مما يشير إلى وجود وصفة حبر خاصة بالتسطير يمكن إزالتها بعد نسخ النص دون إحداث أي اعوجاج أو أثر [13].

أي أن عملية التسطير كانت تتم على جانبي الصحيفة مرة واحدة فيحدث الثلم والجدر[9]، أما التسطير بواسطة الرصاص والحبر فقد استخدم بشكل أكبر بالصحائف الورقية، وكانت تتطلب التسطير على وجهي الصحيفة، هذه الطريقة كانت بحاجة لجهد مضاعف لمحو هذا الأثر الناتج بحيث لا يعوقُ عملية الكتابة[6]. وتم استخدام المسطرة[4] للتسطير بواسطة الضغط أيضًا، بحيث تحوي خيوطًا مشدودة متباعدة بمسافة معلومة تحدث سطورًا في عملية الضغط[10]. وآخر الطرق المستخدمة بالتسطير كانت عن طريق الطي [4] ويتم طي الصفحة بمسافات معلومة عدة طيات لتحدث انحناءات في الصفحة. كل تلك الطرق السابقة استخدمها الناسخ في تحديد إطار التسطير الذي ضمن من خلاله البعد الهندسي لعدد السطور والمسافة بينها.

من هنا لا بد من الإشارة إلى أن عملية التسطير فرضيًّا لم يكن الناسخ يقوم بها بنفسه بل كانت حرفة يتقنها أهله. ومن هنا جاءت نظرية التسطير كأساس تصميم جرافيك خاص بالمخطوطات الإسلامية وبالأخص المصحف الشريف. وقد ذكرت العديد من المصادر التي تتحدث عن صناعة المخطوطات الإسلامية إلى أن هناك العديد من الحرف المرتبطة بصناعة المخطوطة كحرفة الوراقين والناسخين مثلًا، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى سائر الأمور الكتابية بصناعة المخطوطة وهذا يمكن أن تدرج تحته عملية التسطير وإخراج الصفحة[3].

وعلى العموم فإن جميع المصاحف المخطوطة التي وصلت إلينا كانت قد سطرت صحائفها وبعدد ثابت للسطور في كل صفحة للمخطوطة، على خلاف الكثير من المخطوطات العربية في ذلك الوقت [12]، أي أن عدد السطور لا يتفاوت في صفحات المصحف الواحد كما هو الحال في صفحات المخطوطات غير الدينية في ذلك الوقت، إن دراسة تنسيق الصفحة في المخطوطات غير الدينية ليست دقيقة؛ ذلك أن آثار التسطير لها دور مهم في تحديد هذا النسق ودراسته، وهي غير متاحة لنا بصورة مُرضية؛ إذ أن الصفحات كثيرة وقد تعرضها للتلف، مما يؤدي إلى ضياع معالمها وتوازنها الأصلي[3]، مما يجعل خاصية التسطير كأسس تصميمية مرتبطة بالمصحف المخطوط بشكل أساسي، مع الأخذ بالحسبان المسافات بين الأسطر؛ لأن التباعد بين السطور في المصحف الواحد كان على نسبة ثابتة لأن المتن واحد[5]، فعند انتهاء المتن أو البداية بمتن جديد كان التباعد بين السطور أكبر[1]، هذه العملية كانت بتراتبية ثابتة بالمصاحف حيث كانوا يتحرون أن تتساوى المسافات التي بين السطور في الصفحة الواحدة وفي السورة القرآنية الواحدة، فعند انتهاء سورة والبداية بسورة جديدة نجد أن المسافة بين الأسطر قد تباعدت.

إن عملية التسطير عملية أساسية بتركيبة الصفحة التصميمية، ويطلق على الخط الأول بالصفحة اصطلاح (ساكف) [4] وهو أول الخطوط التوجيهية (المرشد) بالصفحة المسطرة، ويكون عادة غير مستخدم للكتابة، فمثلاً صفحة مخطوط مسطره 30 سطرًا والسطور التي تحوي المتن 29 سطرًا، ولو عدنا لعدد الأسطر في الصفحة الواحدة نجدها متغيّرة بالمصاحف لترابطها مع شكل المصحف وحجم الورق وطبيعة الخط، فلا توجد قاعدة خاصة نحكم من خلالها على عدد الأسطر في الصفحة الواحدة، ولكن بشكل عام من خلال عملية إحصائية لعدد السطور في قطع مخطوطة مختلفة نستطيع حصرها ضمن ثلاث قواعد رئيسة: مصحف قطع صغير، ومتوسط، وكبير[5].

وهنا أيضًا يمكن أن يُحدّد شكلان رئيسان من التسطير في المخطوطات الإسلامية القديمة: التسطير البسيط والذي كان مرتبطًا بخطين أفقيين لضبط إيقاع النص، وارتبط هذان الخطان بما ذكرنا سابقًا بخط الساكف والمرشد، والنوع الثاني: كان مرتبطًا بخطين عموديين لضبط إيقاع الكتابة، وفي الأغلب يكونان مرسومين على ظهر الورقة.

والحقّ بأنّه يصعب بناء نظرية تصميمية ثابتة لعدد السطور في الصفحة الواحدة لا سيما في القرون الإسلامية المبكرة، فقد كان الخط المستخدم يؤدّي دورًا أساسيًّا؛ لأننا نستطع تحديد عدد تقريبي حسب القطع المستخدمة، فالمصاحف الكبيرة يتفاوت عدد السطور في صفحاتها ولا سيما المبكرة، فنجد أن عدد السطور في المصاحف لم يتجاوز (12–14) سطرًا في الصفحة الواحدة، في حين أن المصاحف الحديثة العهد يتراوح عدد السطور (25–30) سطرًا [5].

أما المصاحف متوسطة القطع فقد تفاوت عدد السطور بها ما بين (13 – 15) سطرًا في الصفحة لا سيما في القرون الأولى مع وجود بعض التفاوت الذي يرجع إلى اختلاف حجم الحرف الذي استخدمه الناسخ فيها، وكذلك الأمر للمصاحف صغيرة الحجم فلم يتجاوز عدد الأسطر (15) سطرًا في الصفحة الواحدة. إن العوامل الرئيسة التي يعزى إليها تفاوت عدد السطور في المخطوطات على مر العصور من حيث حجم الورقة، وحجم الحرف المستخدم، والمسافة بين السطور، وحجم النص كاملًا، والخامة المستخدمة، ونلاحظ في الجدول ذي الرقم (1) المرفق، التفاوت الظاهر في عدد الأسطر بناءً على حجم المخطوطة.

إن اختيار المسافة بين السطور كانت تعتمد أيضًا بشكل أساسي على طبيعة الخط الذي اختاره الناسخ بنسخ المصحف وحجم الورقة، ونستطيع من خلال قاعدة حسابية معرفة المسافة بين الأسطر في صفحات المصاحف المخطوطة، فمن خلال قسمة ارتفاع المخطوطة على عدد الأسطر ناقص واحد نحصل على المسافة الحسابية التي اختارها الناسخ للمخطوطة[6]، وبالتالي معرفة إطار التسطير، فحجم المساحة المكتوبة داخل الصفحة الواحدة.(الشكل ذو الرقم:1)

$$= \frac{\text{الارتفاع}}{\text{عدد السطور} - 1}$$

الشكل ذو الرقم (1) قاعدة حسابيه لمعرفة المسافة بين السطور بالمصاحف

الهوامش:

وهنا يجب الانتباه إلى أن الهوامش في المخطوطة تمثل الفراغ أو المساحة الموجودة في الصفحة، والتي يمكن أن تكون الغاية منها تجريد المتن من الاستطراد.

وتقسم الهوامش إلى: حواشي (الطرة)، والحواشي هي جانبي الكتاب (طرفيه) أي الفراغ الموجود على الجانب الأيسر (الداخلي) والجانب الأيمن (الخارجي) للصفحة، والحواشي العليا والحواشي السفلى، وهي الفراغ الناتج عن عملية التسطير ضمن إطار التسطير، أي المساحة الفارغة المحيطة بإطار التسطير من جميع جوانبه[4].

إن معظم المخطوطات للقرون الإسلامية الأولى لا يتوفر فيها سوى فراغ بسيط يحيط بالمساحة المكتوبة[6] إلا أن المصممين في ذلك الوقت تنبهوا لضرورة ترك مساحة بيضاء من جميع الجوانب تتناسب مع حجم الصفحة طرديًا، فكلما كبرت الصفحة كبرت الهوامش وكلما صغرت قلت المساحة، كل هذا مع مراعاة أن تكون رؤوس الأسطر متساوية[5]، وقد اتبع النساخ عملية المط والضغط للمحافظة على هذه التسوية، والعادة أن تكون هوامش المصاحف المخطوطة متساوية بالمساحة بالجوانب الأربعة[12].

إن ضرورة دراسة الهامش في صفحات المصاحف تكمن بوصف صفحة المخطوطة ودراسة حجم النص ولجانبها الوظيفي المتعلق بالتزيين أيضًا، فعملية إخراج الصفحة بالمصاحف ارتبطت بشكل أساسي بإطار التسطير وما يحيطه من فراغات، فالعناصر الأساسية للإخراج كانت السطور والهوامش والمتن، هذا من ناحية تصميمة وظيفية بعيدًا عن الجانب الجمالي.

الخلاصة :

إن دراسة نماذج من المخطوطات الإسلامية التي تناولتها الدراسة عشوائيًا تمثل حالة لتأطير فلسفة قد تكون مستقبلًا نظرية تصميم جرافيكية في التسطير وإخراج الصفحة كجزء مهم من الدراسات الكودكلوجيا، وإن دراسة التسطير في هذه الدراسة ما هي إلا استقراء وتحليل لمجموعة مصاحف مخطوطة قديمة خرج بها الباحث ببعض الملاحظات التي قد تشكل مستقبلًا إطارًا عامًا للأبحاث في مجال التصميم الجرافيكي للمخطوط الإسلامي.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الفائدة التي تمثلها هذا الدراسة عن المخطوطات الإسلامية الدينية بوصفها تراثًا للحضارة الإسلامية، تساعد بإزالة الغموض عن تطور إخراج الصفحة وعلاقة التسطير بالهامش. إن النماذج المستخدمة في هذا الدراسة والتي استخدم الباحث الملاحظة والمنهج الوصفي لتحليلها تشترك بالظواهر الكوديكولوجية نفسها، والتي تساعدنا في تأطير فلسفة نظرية جرافيكية في أن المخطوطات الإسلامية الدينية في الفترة المبكرة كانت تبنى ضمن أسس تصميمية استخدمها الناسخ أو الحرفي تقوم على العلاقات ما بين المتن والوسيط، والعلاقات قد انتظمت من خلال التسطير والهوامش المحيطة بالمتن.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن المسافة بين السطور لا سيما في المخطوطات الإسلامية المبكرة قد تفاوتت بشكل كبير، فلا يمكن بناء قاعدة ثابتة نحتكم إليها في تحديد هذه المسافة. ولكن مع دخول القرن الثالث الهجريّ بدأت هذه العملية تتدخل ضمن بناء تصميم ثابت، فنجد أن معظم المصاحف المخطوطة كانت المسافة بين الأسطر منظمة بشكل أكبر، فقد كانت تتفاوت بين (1– 2 سم) في السطرين المتلاحقين، إذًا كانت عملية التسطير في المصاحف المخطوطة عملية منظمة، ودخلت بشكل أساسي في البناء التصميمي للمصحف، بل تعد أحد أهم العناصر لبناء الصفحة وإخراجها في المخطوطات وبشكلها النهائي.

الجدول ذو الرّقم (1): دراسة عدد الأسطر في مجموعات مصاحف ذات قطع مختلف

المصحف	قياسه وشكله	عدد الأسطر	القرن
مصحف متحف طوب قبو سراي H.S.194 [8]	46سم×41 سم	18	2 هـ/8م 1226هـ
مصحف متحف الآثار الإسلامية إسطنبول رقم 358 [11]	54.5 سم×64 سم	21	1هـ/7م
مصحف مكتبة الإدارة الدينية الإسلامية بطشقند [8]	68 سم×53سم	12	35هـ/656م
مصحف في الجامع الأزهر رقم (9)586 [8]	50سم × سم	14	
مصحف متحف الآثار الإسلامية إسطنبول رقم 457 [11]	32.5 سم ×23.5سم	15	1هـ/7م
مصحف برمنكهام رقم 1: 1365 [8]	22.5 سم×10.7سم	15	2هـ/8م
مصحف مكتبة جامعة برنستن Hitti,No.1156 [11]	36.5 سم×27.5سم	19	5هـ/11م

مصحف مكتبة الأسد رقم 5684 [2]	23.5 سم×16سم	13	8هـ/14م
مصحف مكتبة الأسد رقم 7060[2]	30.5 سم×22.5سم	13	10هـ/16م
مصحف مكتبة الأسد رقم 252 [2]	15.5سم×11.5سم	15	
مصحف مكتبة الأسد رقم 285 [2]	17 سم×11سم	15	
مصحف مكتبة الأسد رقم 288 [2]	16.5 سم ×11سم	13	
مصحف مكتبة الأسد رقم 7750 [2]	16.5 سم ×10.5سم	15	
مصحف مكتبة الأسد رقم 288 [2]	17 سم ×11سم	15	

الجدول ذو الرّقم (2): دراسة تبين المسافة بين الأسطر في مجموعات مصاحف ذات قطع مختلف

المصحف	قياسه وشكله	السطور	المسافة بين الأسطر
مصحف متحف طوب قبو سراي H.S.194 [8]	46سم × 41 سم	18	2.7 سم
مصحف متحف الآثار الإسلامية إسطنبول رقم 358 [11]	54.5 سم ×64 سم	12	4.9 سم
مصحف مكتبة الإدارة الدينية الإسلامية بطشقند [8]	68 سم ×53سم	12	6.1 سم
مصحف في الجامع الأزهر رقم (9)586 [8]	50سم × سم	14	3.8 سم
مصحف متحف الآثار الإسلامية إسطنبول رقم 457 [11]	32.5 سم ×23.5سم	15	2.3 سم
مصحف برمن كهام رقم 1: 1365 [8]	22.5 سم ×10.7سم	15	1 سم
مصحف مكتبة جامعة برنسين Hitti,No.1156 [11]	36.5 سم ×27.5سم	19	2 سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 5684 [2]	23.5 سم ×16سم	13	2 سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 7060 [2]	30.5 سم ×22.5سم	13	2.5 سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 252 [2]	15.5 سم ×11.5سم	15	1 سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 285 [2]	17 سم ×11سم	15	1 سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 288 [2]	16.5 سم ×11سم	13	1.3سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 7750 [2]	16.5 سم ×10.5سم	15	1.1سم
مصحف مكتبة الأسد رقم 288 [2]	17 سم ×11سم	15	1.2 سم

الكوديكلوجيا: (Codicology /Codicologie): هو العلم الذي يهدف إلى دراسة المخطوطة باعتبارها قطعة مادية بعيداً عن الاهتمام بالمتن، والذي يقصد بها علم الفيلولوجيون، انه علم الكتاب المخطوط بالمفهوم الحديث، والـ (Codicology) تقسم إلى لفظتين: أولهما (Codex) أو (Codico) وجمعهما (Codiced) وتعني: الكراريس المضمومة إلى بعضها بعضًا أو بمعنى أعم الكتاب المخطوط بين دفتين، واللفظ الثاني (Logy) من (Logos) ومعناها: وصف أو معرفة أو تعلم أو علم أو دراسة وبحث.

المراجع

1- أبو هيبة، عزت، *المخطوطات العربية: فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.

2- الأسد، مكتبة، *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية*، دمشق،1993.

3- بختي، مليكي، التسطير واخراج الصفحة في مخطوطات الغرب الإسلامي، *مجلة معهد المخطوطات العربية*، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد 55، ج1، القاهرة،2011 .

4- بنين، أحمد وطوبي، مصطفى، معجم *مصطلحات المخطوط العربي*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،2003.

5- الحلوجي، عبد الستار، *المخطوط العربي*، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002 .

6- ديروش، فرنسوا، *المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي*، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن،2005.

7- الطوبي، مصطفى، المخطوط العربي الإسلامي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات، *مجلة معهد المخطوطات العربية*، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد 55، ج1، القاهرة، 2011.

8- عواد، محمد، *أقدم المخطوطات العربية*، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2002.

9- لومير، جاك، *مدخل إلى علم المخطوط*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،2006.

10- المنيف، عبد الله، *دراسة فنية لمصحف مبكر*، المملكة العربية السعودية، 1998.

11- المنجد، صلاح الدين، *دراسات في تاريخ الخط العربي*، دار الكتاب الجديد، بيروت،1979 .

12- النشار، السيد، *في المخطوطات العربية*، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية 1997.

13- DUKAN, Michele, La Reglure des manuscrits hebreux au Moyen- Age. - Paris: CNRS, 1988.

References

1- Abu Heiba, Ezzat, Arab Manuscripts: Their Indexes, Indexed, and Citizens in the Arab Republic of Egypt, The Egyptian General Book Authority, Cairo, 1989.

2- Al-Assad, Library, Index of Arab Manuscripts Preserved at the Al-Assad National Library, Damascus, 1993.

3- Bakhti, Maliki, Underlining and Bringing the Page in Islamic Manuscripts, Journal of the Arabic Manuscripts Institute, Arab Organization for Education, Culture and Science, Volume 55, Part 1, Cairo, 2011.

4- Benin, Ahmed and Toby, Mostafa, Dictionary of Arabic Manuscript Terms, National Printing and Paper, Marrakech, 2003.

5- Al-Halouji, Abdel Sattar, the Arabic Manuscript, Egyptian Lebanese House, Cairo, 2002.

6- Derouche, Francois, Introduction to the science of book written in Arabic script, translated by Ayman Fouad Sayyid, Al-Furqan Al-Islami Foundation, London, 2005.

7- Al-Toubi, Mustafa, the Islamic Arab Manuscript between Material Industry and Manuscripts, Journal of the Arabic Manuscripts Institute, Arab Organization for Education, Culture and Science, Volume 55, Part 1, Cairo, 2011.

8- Awad, Mohamed, the oldest Arabic manuscripts, Dar Al-Thaqafa Al-Almiyya, Alexandria, 2002.

9- Lemerre, Jacques, An Introduction to Manuscript science, National Printing and Paper, Marrakech, 2006.

10- Al-Muneef, Abdullah, Technical Study of an Early Mushaf, Saudi Arabia, 1998.

11- Al-Munajjid, Salah al-Din, Studies in the History of Arabic Calligraphy, New Book House, Beirut, 1979.

12- Al-Nashar, El-Sayed, in Arabic Manuscripts, Dar Al-Thaqafa Al-Alami, Alexandria 1997.

13- DUKAN, Michele, *La Reglure des manuscrits hebreux au Moyen- Age*. - Paris: CNRS, 1988.